حكايات ألف ليلة

18

الأخ الضرير قفة

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: أ. إسماعيل دياب
إشراف: أ. حمدي مصطفى



تابعَ الْخياطُ المتَّهمُ بقتلِ مُهرّجِ ملِكِ الصِّينِ الأَحْدَبِ ، حكايَةَ حلاَّق (بغْدَادَ) فقال :

- لما علِمَ الْخليفَةُ أَنَّ حلاَّقَ (بغداد) له ستَّةُ إخْوةٍ ، وأنَّ كُلاًّ منهمْ قدْ صارَ بعاهةٍ مختلفَةٍ عنِ الْآخَرِين ، نتيجَةَ فُضولِه وثرثرتِه وكثرةِ كلامِه ، طلبَ منهُ أَنْ يحكِيَ له حكايَةَ كلٍّ واحدٍ منهُمْ . .

فنظَرَ حلاَّقُ (بغْدادَ) إلى الْخليفَةِ وقال :

- أَمَّا أخي الأَعْرجُ (جَرْجَرْ) وأَخي الْأَحْولُ (بقْبقْ) فأرْجوكَ يا موْلاي أنْ تعْفِيني من ذكْرِ حكايَةِ كلٍّ منهما ، لأنَّ حكايةَ الأوَّلِ مُخْجلَةٌ ، وحكايَةَ الثاني مُخْزِيَةٌ ، واسْمَحْ لي يا موْلاي أن أَبْدأَ بحكايَةِ أخي الضَّريرِ (قُفَّة) لأنها حكايَةٌ مُسَلِّيَةٌ ، وفيها الْعجَبُ . .

فقالَ الْخليفةُ :

- قدْ سمحْتُ لكَ فاحْكِ ، وشَنِّفْ سمْعي بحكايَةِ أخيكَ الضَّريرِ (قُفَّة) . .

فقالَ حلاَّقُ (بغْدادَ) :



-إن أخى الضرير (قُفَّة) قد فقد بصره على كِبَر ، وكان ذلك فى إحدى مغامراته الفضولية الثرثارية الشيطانية ، ولذلك فقد عمل شحاذاً ، وأخذ يتسول الناس ..

وكان له رفيقان ضريران متسولان مثله ، فيقضى كُلٌّ منهم النهار متسولاً فى حىٍّ من أحياء (بغداد) وعند حلول المساء يجتمعون فى دارٍ لهم ، حيث يأكلون ، ويعدون حصيلة اليوم من التسول ، فيدفنونها فى ركن بالبيت ، وهكذا حتى جمعوا ثروة من التسول ..

وذاتَ يومٍ ساقَ أخي الضَّرير هذا قضاؤهُ وقَدرُهُ إلى دارٍ كبيرةٍ ، فدقَّ بابَ الدَّارِ طمعًا في أنْ يتعطَّفَ عليْه صاحبُ الدارِ بصَدقةٍ ، وظلَّ أخي يطْرقُ الْبابَ ، فسَمِعَ صاحبَ الدَّارِ منَ الداخلِ يقولُ : منْ بالْباب ؟

فلمْ يردَّ عليه أخي ، ويُخْبِرْهُ أنه شحَّاذٌ ، خشْيَةَ أنْ يصْرِفَهُ الرجلُ ، دونَ أنْ يفتحَ له الْبابَ أوْ يعطيَهُ شيْئًا ..

وفتحَ صاحبُ الدارِ الْبابَ ، على مضَضٍ - فلمَّا رأى أخي واقفًا بالْباب بادرهُ بقولِه : هلْ أنْتَ ضريرٌ ؟!

فقالَ له أَخي : نعمْ ..

فقالَ صاحبُ الدَّارِ : ناولْني يدَكَ يا أَخي ..

فناولَهُ أخي يدَهُ ، فقادهُ الرجُلُ وأدْخلَهُ الدَّارَ ، ثم أخذَ يصْعَدُ به سلَّمًا مُرتفعًا ، بدا لأخي ، وكأنْ لا نهايَةَ لهُ ، حتَّى تقطَّعتْ أنْفاسهُ ، لكنَّهُ لمْ يعبأْ بذلك ، لأنَّهُ كانَ يمني نفْسهُ بعطاءٍ سخيٍّ منْ صاحبِ الدَّارِ ، بعْدَ هذا الْعَناءِ في صُعودِ السُّلَّمِ ..

أخيرًا وصلَ صاحبُ الدَّارِ بأخي إلى سَطْحِ الدَّارِ ، فوقَفَ

قائِلاً لأخى : الْآنَ ماذا تُريدُ أيُّها الضَّريرُ ؟!

فقالَ أخى : أنا رجُلٌ فقيرٌ ، وأُريدُ أَنْ تُعْطِينى مِمَّا أَعْطاكَ اللَّهُ ..

فقالَ صاحبُ الدَّارِ : يفْتَحُ اللَّهُ عليْكَ ، ويرْزُقُكَ من غَيْرى ..

فاغْتاظَ أخى بشدَّةٍ وقالَ له :

يا هذا ، أَلَمْ يكُنْ لكَ لِسانٌ حتى تقُولَ لى هذا الْكلامَ ، ونحْنُ فى أسْفلِ الْبَيتِ ؟!

فقالَ صاحبُ الدَّارِ : وأنْتَ يا أسْفلَ السَّفْلَةِ ، ألَمْ يكنْ لكَ لسانٌ ، حتى تسْألَنى ما تريدهُ ، حينَ سألْتُكَ ، منِ الطَّارِقُ ؟!

فَقَالَ أَخى : والآنَ ماذا تريدُ أَن تَصنَعَ بى ؟!

فقالَ صاحبُ الدارِ : ليْسَ عندى شىءٌ أُعْطيك إيَّاهُ ..

فقالَ أخى : انْزِلْ بى السَّلالِمَ ، حتى تُعيدَنى خارجَ البَيْت ..

فقالَ صاحبُ الدارِ : أمامَكَ السَّلالِمُ ، فانْزِلْ كما يَحْلُو لكَ ..

وأَضافَ الحلاَّقُ قائلاً للْخليفَة :

- وهكذا أَوْقَعَ الْحظُّ الْعاثرُ أَخى الضَّريرَ فى يدِ ذلك الرجُلِ اللَّئيم ، الذى تركَهُ ينزلُ السَّلالمَ وحْدَهُ ..

وهكذا بدأَ أخى ينزلُ السَّلالمَ متحسِّساً طريقَهُ بصُعُوبةٍ ، حتى صار بينَهُ وبينَ الأَرْضِ عشْرونَ درَجةً ، فتعثَّرَتْ قدَمُه ، واخْتلَّ توازنُهُ ، فسقطَ على السلالم ، وأَخذَ ينحَدرُ من درَجَةٍ إلى درجةٍ ، حتى وصلَ إلى الأَرْضِ ، فَشُجَّ رأْسُهُ ، وأُصيبَ بعدَّةِ جُروحٍ ، فخرجَ منَ الدارِ ، وهو لا يكادُ يصدِّقُ أنهُ نَجا بحياتِهِ من ذلكَ الشَّيْطانِ الْماكرِ ، الذى أَوْقَعَهُ فيه حَظُّهُ الْعاثرُ ..



سارَ أَخي مُتَخَبِّطًا في شوارعِ (بغْدَادَ) باحِثًا عن رفيقيْهِ الضَّريريْنِ ، وراحَ صاحبُ الدارِ يتْبَعُهُ عن قُرْبٍ ، ليعْرِفَ ماذا سيفْعلُ ، كلُّ هذا وأَخي لا يَشْعُرُ بهِ ..

أَخيرًا الْتَقَى أَخي برفيقيْهِ الضَّريريْنِ ، فحدَّثهُمْ بما وقَعَ لهُ مع صاحبِ الدارِ ، وقالَ لهمْ :

أُريدُ أَنْ نذْهَبَ إلى دارِنا في هذه السَّاعَةَ ، حتى آخُذَ شيْئًا من الدَّراهِمِ التي ادَّخَرْناهَا ، لأُنْفِقَ منهُ على نفْسِي ، حتى تُشْفَى جُروحي ..

فقالوا لهُ : هيَّا بنا إلى الدَّارِ لنُخْرِجَ الدَّراهِمَ من مَخْبئِها ..

وهكذا سارَ العُميانُ الثلاثَةُ إلى دارِهِمْ ، وهمْ لا يَدْرُونَ أنَّ ذلكَ الرجُلَ اللَّئيمَ ـ الذى تسبَّبَ لأَخى فى كلِّ هذهِ الآلامِ ـ يتبعُهم عن قُرْبٍ ..

دخلَ العُميانُ الثلاثَةُ دارَهُمْ ، ودخلَ معهم ذلكَ الرجُلُ ، وهمْ لا يَشْعُرُونَ به .. وقالَ أخى لرفيقَيْه : أَغْلقوا وفَتِّشوا الدارَ جيدًا ، خشْيَةَ أنْ يكونَ أَحدٌ قد تبعَنا ، ونحنُ لا نَدْرى ..

فلما سمِعَ الرجُلُ ذلكَ تعلَّقَ بحبْلٍ كانَ مُدلًّى من السَّقْفِ ، وظلَّ ساكنًا ، حتى انتَهوْا من تفتيشِ الْبَيْتِ ، واطْمأَنُّوا إلى عدمِ وجودِ غريبٍ بينهم ..

واستَمرَّ حلاَّقُ (بغْدادَ) فى سَرْدِ حكايةِ أخيهِ (قُفَّة) للْخليفَةِ قائلاً :

وهكذا توجَّهَ أخى ورفيقَاهُ الضَّريران إلى الْمكانَ الذى يُخَبِّئُونَ فيهِ الدَّراهِمَ ، فحفَروا الأَرْضَ وأَخرجُوها ، ثم أَخَذوا يعُدُّونَهَا حتى أَكملوا عشْرَةَ آلافَ درهمٍ ، فوضَعوها فى كيسٍ وقالَ أَخى :



نَدْفِنُ الْعَشْرَةَ آلافِ درهَمٍ ، ونأْخُذُ ما زادَ عنْها ، لِننْفِقَ منْهُ .. فوافقَهُ الآخَرانِ ..

وهكذا دَفنوا الْعَشْرَةَ آلافِ درهَمٍ ، واقْتَسَموا ما زَادَ عنْها فيما بَيْنَهُمْ .. كلُّ هذا والرجلُ ينْظُرُ إليهِمْ ..

ثمَّ أَحْضَروا طعَاماً كانَ لدَيْهِمْ وجَلسوا يأْكُلُونَ ..

ونزلَ الرجلُ منْ مَخْبَئِهِ ، ليأْكُلَ معهمْ ، فأَحسَّ به أَخى ، فمدَّ يدهُ وأَمْسكَ بهِ خلْسَةً ، وصاحَ بِرَفيقَيْهِ : هذا غَريبٌ وقدْ أَمْسكْتُ بهِ ..

فانْهالَ الضَّريران على الرجُلِ ضرْبًا ، حتى كادُوا يقْتُلُونَهُ ، والرجُلُ لا يسْتطيعُ منهمْ فكَاكًا ..

ثم أَخذَ الْعميانُ الثلاثَةُ يتصايحُونَ ويصْرخُونَ طالبينَ النَّجْدةَ منَ الْجيرانِ والْمارَّةِ فى الشوارِعِ .. فتجمَّعَ الناسُ يسْألونَ عما أَلَمَّ بالْعمْيانِ الثَّلاثَةِ ..

فقالَ أَخى : هذا اللِّصُّ هجَمَ علينا ، يريدُ قتلنَا وسَرِقَةَ أَمْوالنا ، فأَنْقذُونا منْهُ ..

فلما رأَى الرجُلُ أَنَّ الناسَ قدْ يقْتُلُونَهُ ، أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ، فصارَ كأَنَّهُ أَعْمى مثلِهمْ ، ثم صَرَخَ بأَعْلى صوْتِهِ :

لا تصدِّقُوهُمْ ، فأنا أَعْمى مثْلُهمْ ، ولسْتُ لصًّا كما يزْعُمُ هؤُلاءِ الْماكرونَ .. أَنا شحَّاذٌ مثلُهمْ ويريدونَ أَكْلَ حَقِّى ..

فتعجَّبَ الناسُ منْ ذلكَ ، واسْتمرَّ الرجُلُ على تعاميهِ ، ثمَّ صرخَ قائلاً :

عنْدِى كلامٌ خَطيرٌ لوالى (بَغْدَادَ) ولابُدَّ أَنْ أَبُوحَ لهُ به ، وإلاَّ حدثَتْ مُصيبَةٌ .. أَرْجوكمْ خُذُونى للْوالى لأَنَّنى ضريرٌ ولا أَسْتطيعُ الْوصولَ إِلَيْهِ وحْدى ..

ولمْ يكَدِ الرجُلُ يكْمِلُ كلامَهُ ، حتَّى ظهرَ بعْضُ رجالِ



الشُّرْطةِ ، فلما سَمِعوا كلامَهُ أَحاطوا به ، وأَخذُوهُ هو وأخى ورَفيقَيْهِ إلى والى (بغْدادَ) .. فلمَّا رآهُمُ الْوالِى قال لهمْ :

ما هى حِكايَتُكُمْ ؟ !

فقالَ الرجلُ وهو مستمِرٌّ فى تعامِيه وإغْماضِ عيْنَيْه :

أَرجوكَ أَيُّها الْوالى أَنْ تسمَعَ كلامى وتُعاقِبَنا بالضَّرْبِ الْمُبَرِّحِ ، لأَنَّ حقيقَةَ حالنا لنْ تظْهرَ لكَ إلاَّ بضَرْبِنا ضرْبًا شديدًا ، وإنْ أَرَدْتَ فابْدأْ بضَرْبى أَنا قبْلَ رِفاقِى ، حتى لا يَظُنُّوا بى الْأَنانِيَةَ ..

فقالَ الْوالى للجلاَّدين :

اطْرحوا هذا الرَّجلَ أَرْضًا ، واضْرِبوهُ بالسِّياطِ ، حتى نعْرِفَ حقيقةَ ما يُخَبِّئونه عنَّا ..

فطرحَ الْجلاَّدونَ الرجلَ أَرضًا ، وانهالُوا عليْه ضرْبًا بالسِّياطِ ، حتى أَوْجعهُ الضَّرْبُ ففتحَ إحدى عينيْه ، فلمَّا اشْتدَّ عليْه الضرْبُ فتحَ عينَه الأُخْرى .. فتعجَّبَ الْوالى وقالَ له :

ما هذه الفعالُ يا رجُلُ ؟! تدَّعى الْعَمَى وأَنت مُبْصِرٌ ؟!

فقالَ له الرَّجُلُ :أَعطنى الأَمْانَ ، وأَنا أَبوحُ لكَ بحَقِيقَتنا نحْنُ الأَرْبعَة ..

فقالَ له الْوالى :

قَدْ أَمَّنْتُكَ ، فتكلَّمْ ..

فقالَ الرجلُ :

نحنُ أَرْبَعَةٌ ـ كما ترى أَيُّها الْوالى ـ كلُّنا مُبْصِرونَ ، لكنَّنا ندَّعِى الْعَمَى ، فَنمرُّ على الْبُيُوت وندْخُلُها ، ونحتالُ فى التَسَوُّلِ ، ورؤْيَةِ أَسْرارِ الْبُيوت ، والناسُ يشْفِقونَ علينا ، ويظُنُّونَنا عُمْيانًا .. وقدْ جمعْنا منْ ذلكَ ثرْوةً وهى عشْرةُ آلاف درهمٍ ، فقلْتُ لرفاقى هؤْلاء : أُريدُ حقِّى منْ هذه الثَّرْوة ، وهو أَلْفانِ وخمسمائة درهمٍ ، فضربونى ورفضوا إعْطائى درهمًا



واحداً، ولهذا فأنا جئتُ هُنا
مستجيراً بكَ أيُّها الوالى ، وأنا مُستعدٌّ
أنْ أتنازلَ عنْ نصيبى فى المالِ لكَ . .
المُهِمُّ أنْ تحْمينى منهم . . وإذا أردْتَ
أنْ تعرِفَ صدقَ كلامى ، فافْعلْ معهم ،
كما فعلْتَ معِى أيُّها الوالى . . مُر بجلْدهم وسوفَ
يفتحونَ أعْيُنهم ، ولكن حذارِ أنْ يخْدعوكَ بعْد أنْ سمِعوا
ما قُلْتهُ لكَ ، وعلِموا أننى كشَفتُ حقيقتهُمْ . .

فضحكَ الْوالى وقالَ :

لنْ يستطيعوا خداعى .. اجلدوهم حتى يفتحوا أعينهم ويعترفوا بنعمة اللَّه عليهم ..

انهالَ الْجلاَّدون ضربا على أخى ورفيقيه ، حتى كادُوا يقتلونهم ، وبالطَّبع لم يفتحوا أعينهم لأنهم كانوا عميانا ..

فقالَ الْوالى :

أيها الْماكرون الْفاسقون ، تجحدون نعمة اللَّه عليكُم ، وتدعون أنكُم عميان ، وأنتم مبصرون ..

وأمر باستمرار ضربهم بالسياط ، حتى آلمهم الضرب الْمبرح ، فصاح أخى : واللَّه ما فينا أحد مبصر ..

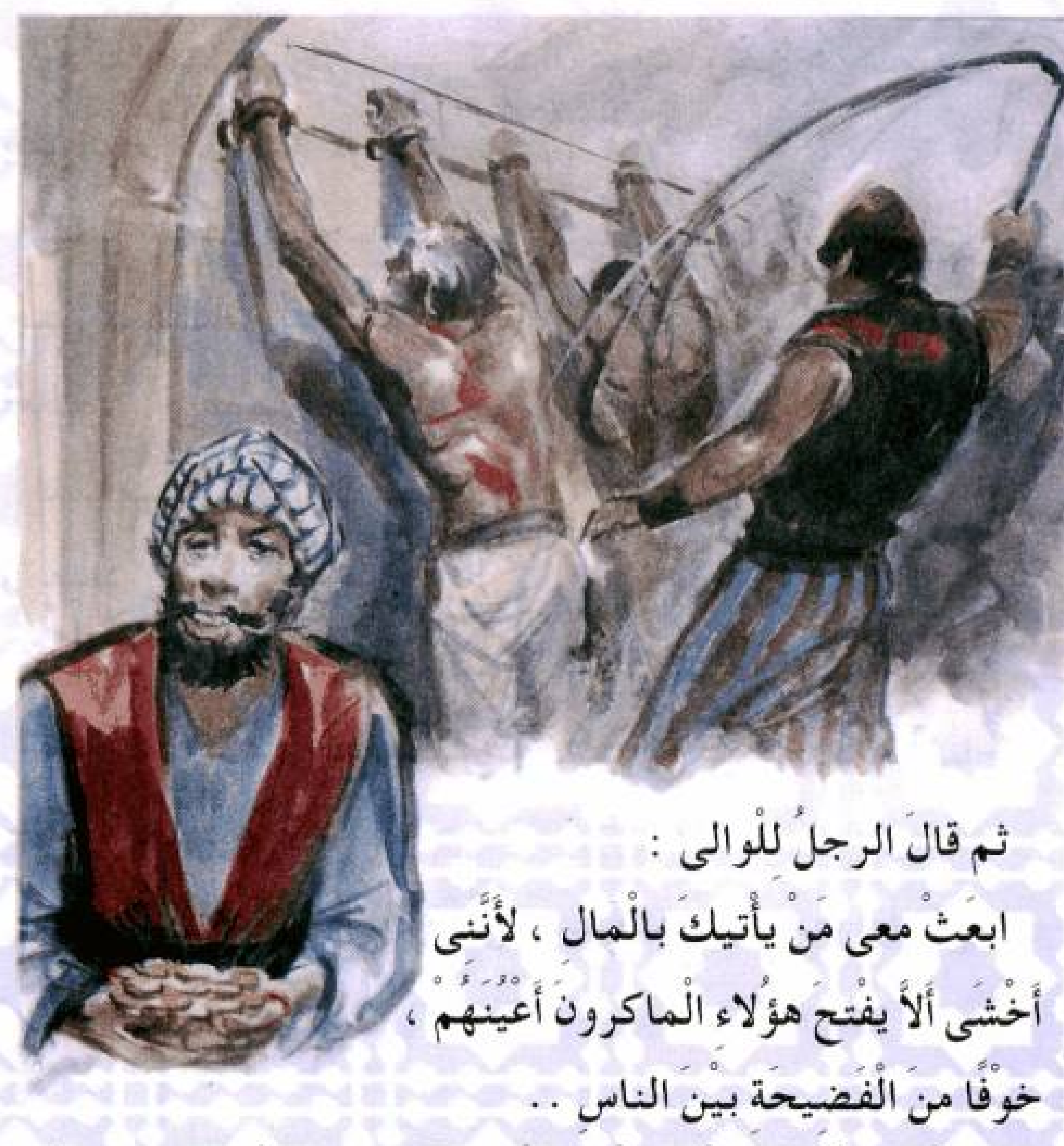
ولكن من يصدق هؤلاء الْبؤساء ، بعد أن تعرضوا لغضب الْوالى ، ووقعوا فى قبضة الْجلاَّدين ..

وهكذا استمر الضرب ينهال على أخى الْمسكين ، حتى أُغمى عليه هو ورفيقيه ، فقالَ الْوالى :

دعوهم حتى يفيقوا ، ثمَّ استمروا فى ضربهم ..

فلمَّا أفاقوا انهالوا عليهم ، وذلك الرجلُ الماكرُ يقولُ :

افتحوا أعينكم ، وإلاَّ قتلوكم ضربا ..



ثم قالَ الرجلُ للْوالى :

ابعَثْ معى مَنْ يأْتيك بالْمالِ ، لأَنَّنى أَخْشَى ألاَّ يفْتحَ هؤُلاء الْماكرونَ أَعْيُنَهم ، خوْفًا من الْفضيحة بيْنَ الناسِ ..

فأرْسَلَ الْوالى بعْضَ الْعَسْكَرِ مع ذلك الرَّجلِ إلى دارِ أخى ورفيقَيْه ، فأحْضَروا الْعشْرةَ آلاف درهمٍ .. فأعْطاهُ ألْفَيْن وخمْسمائةِ درهَمٍ ، واحْتفَظ بباقِى الْمالِ فى خزانَةِ بيْتِ الْمالِ ..

وهكذا ضُرِبَ أخي حتى كادَ أنْ يموتَ ، ونُفِيَ عنِ الْمدينةِ بأمْرِ الْوالِي ، وحُرِمَ دراهِمَهُ ..

فلما علِمْتُ ما حَدثَ لأخي أيُّها الْخليفَةُ ، احْتَلْتُ ، حتَّى تمكَّنْتُ مِنْ إدْخاله (بغْدادَ) ليْلاً ، وأخَذْتُهُ إلى بيْتي فعَالَجْتُهُ ، وأطْعمتُهُ حتى شُفِيَ ..

فلما سمِعَ الْخليفةُ قصَّةَ (قُفَة) الأَعْمَى من أَخيهِ حلاَّقِ (بغْدادَ) ضحكَ في مرَحٍ وقالَ :

- يا لَكَ من أَحْمَقَ ترْثارٍ ، أَنْتَ وإخْوَتكَ ..

وأمرَ له بنقُودٍ ، حتى ينصرِفَ ويستَريحَ من ثرْثَرَتِه ، فصَاحَ حلاَّقُ (بَغْدادَ) :

- واللَّه لنْ أتحرَّكَ منْ هنا حتى تَسْمَعَ بقِيَّةَ قِصصِ رِفاقي ، فربُما زدْتَ لِيَ الْعطاءَ ..

(يتبع)

رقم الإيداع : ١٧٤٥٤ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي : ٩ - ٧١٦ - ٢٦٦ - ٩٧٧